

مخاطر سينمائية : ١- منطقة الغسق

كان مقدراً أن تأتي النهاية مُبهجة سعيدة تُختم بها حلقات المسلسل السينمائي - التليفزيوني الذي بدأت في إنتاجه منذ فترة طويلة شركة « إخوان وارنر » الأمريكية بعنوان : « منطقة الغسق » - Twilight Zone ، لولا وقوع هذه المأساة .

يدور موضوع المسلسل حول المواقف والمعارك الأمريكية في فيتنام في سنوات الستينيات ، ومحاولة « الإيهام » بأنها لم تَخلُ من لمسات إنسانية رحيمة !!

كان بطل الحلقات الممثل « فيك مورو » يؤدي دور رجل أبيض (غربي أمريكي) متعصب متطرف ، مغالٍ في عداائه وإيذائه للفيتناميين ، ثم ينتهي به الأمر - بعد أحداث طويلة متشابكة - إلى التوبة والندم ، و « يكتشف » أنه كان خاطيء الفهم ، منحرف السبيل . لذلك ، كان المشهد الأخير كالاتي : مع غَبَش الليل ، أى وقت الغسق ، في منطقة فيتنامية معرضة لهجوم أمريكي ، يسرع بطل الحلقات (فيك) بانتشال صبيين فيتناميين بعيدا عن مَرْمَى قذائف طائرة هليكوبتر أمريكية ، ويقفز بهما في نهر مجاور ، ويسبح - مغالبا التيار - حتى يصل بهما إلى الضفة الأخرى بسلام وأمان ، فيقول لهما بلهجة واثقة مؤكدة : « لسوف أحافظ على سلامتكما أيها الصغيران . هذا وعد مني . لن يمسسكما أحد بسوء بعد الآن ، وأقسم بالله على ذلك » .

لكن تشاء الأقدار - وللأقدار حُكم وأحكام - ألاَّ يَصوِّر (فيك) هذا المشهد ، ولا ينطق بتلك الكلمات الخادعات .

بدأ تصوير المشهد في الساعة الثانية والنصف بعد ظهر يوم الثالث والعشرين من يوليو ١٩٨٢ ، حيث جرى تصوير اللقطات الحربية التي استمرت حتى ساعة متأخرة من الليل ، في ساحة فسيحة لسباق الدراجات النارية (الموتوسيكلات) على بعد نحو أربعين ميلا شمال مدينة لوس أنجلوس .

أقبلت الطائرة الهليكوبتر ، وأخذ مكانه كلُّ من البطل والغلّامين المذعورين ، وتولى خبير المفرقات تفجير القذائف ، ودارت الكاميرات تصوّر في جو المعركة والهروب إلى النهر المجاور . لكن يبدو أن عبوة إحدى المتفجرات كانت أكبر مما يجب خطأ في التقدير ، فأصاب الهليكوبتر ، فتأرجحت لولبيا ، وفقدت توازنها ، ثم هَوّت لتسحق أحد الغلامين - ويدعى : رنى شين ، وعمره ست سنوات - وهو يجرى ويصرخ مذعورا نحو النهر ، ثم انكسر الذراع الرئيسى لمروحة الطائرة ، ومَرَق بسرعة رهيبية مطيحا في طريقه برأس البطل (فيك مورو) ، وبرأس الغلام الثانى «ميكادنه» - عمره سبع سنوات - ثم تنقّض عليهما كتلة ضخمة من النيران . حدث هذا المشهد الحقيقى المروع أمام نحو مائة من الممثلين ، وفريق التصوير ، والفنيين ، وعدد من الزائرين . ولأول مرة في تاريخ هوليوود يُقتل أطفال في أثناء التصوير !

توقف العمل في المسلسل المقدر له عشرة ملايين دولار ، وهو من إخراج « ستفن سبيلبرج » ، إلى أن تنتهى وكالة الطيران الفدرالية ، وهيئة سلامة الطيران المدنى من تحقيقاتها في الحادث .

وُجّه الاتهام إلى مخرج الأجزاء (أو المشاهد) الحربية في المسلسل « جون لانديس » ومساعديه ، بالخروج على القانون السائد في الولاية ، والذي يقضى بعدم تشغيل الأطفال بعد السابعة مساء . واعترف المسئولون عن إنتاج المسلسل بتحملهم تلك المخالفة القانونية . ومع ذلك ، لم يقرّوا بأن الحادث المروع كان من الممكن تلافيه ، وبأن « جون لانديس » تَعَمَد تعريض الممثلين الثلاثة (البطل

والغلامين) للتهلكة ، بأن أمر الطائرة الهليكوبتر بالتحليق على ارتفاع منخفض وخطر .

بعد خمسة أشهر من وقوع الحادث ، صرح « لاندیس » في أول مقابلة إعلامية معه ، بأن إشاراتِهِ إلى « فيك مورو » بالاستمرار في الإسراع بالجرى ، أخطأ مساعدوه في فهمها ، فظنوا أنها إشارة إلى ملاح الطائرة بطلب الهبوط . ثم أضاف في تصريحه : « لقد كانت قوة الانفجارات أكبر وأوسع مدى من توقعات أى شخص في فريق العمل » .

في شهر مايو التالى طلب مكتب نيابة المنطقة من هيئة المحلفين سماع الأقوال المتعلقة بالحادث لتحديد المسئول عنه . ووقعت غرامة مقدارها ١٠٠٠٠٠ دولار على كل من « جون لاندیس » ، و « سبيلبرج » ، و « اخوان وارنر » ، لانتهاك قوانين حماية الأطفال والمحافظة على سلامتهم . وطالب والد أحد الغلامين القتيلين بتعويض قدره ٢٠٠ مليون دولار من المسئولين عن إنتاج الفيلم (هذا الجزء من المسلسل) .

في اليوم الذى أذيعت فيه حلقة « منطقة الغسق » بعد حذف المشهد الذى وقعت فيه الكارثة ، أصدرت هيئة المحلفين بالمحكمة التى تنظر القضية ، قرارها بإدانة « لاندیس » ، ومساعد الإنتاج « جورج فونسى » ، ومدير وحدة الإنتاج « دان أللنجهام » ، ومساعد المؤثرات الخاصة « بول ستیورات » ، وملاح الطائرة الهليكوبتر « دورسى وينجو » ، بتهمة القتل غير العمد . فإذا حكمت المحكمة بثبات تلك التهمة عليهم ، فإن مصيرهم سيكون إلى السجن لمدة ست سنوات . ولم يحدث قط في تاريخ السينما أن حُكم على مخرج بتهمة تسببه في مقتل شخص في أثناء التصوير .

طالت إجراءات التحقيق ومناورات المحامين إلى نحو ثلاث سنوات . ومثلت

النيابة العامة «لِيا بورُوين داجُوستينو» ، التى عَنَفَت المَتَّهَمين بشدة - فى جلسة ٢٢ يوليو ١٩٨٦ - وأَلَقَت اللوم على مُنتجى الأفلام « الذين لا يهتمون إلا بنجاح الإيرادات وحصيلة شباك بيع التذاكر » ، وانتقدت تَهَوُّر بعض المخرجين باسم الواقعية . وأُثبِتَت اندفاع المخرج « جون لاندِيس » فى أثناء العمل إلى حد الحماسة والهَوَس ، حتى إن البعض أطلق عليه تعبير : « المخرج المستبد » .

تولى الدفاع مجموعة من المحامين على رأسهم « جيمس نيل » الذى كان يشغل من قبل منصب المدعى العام فى قضية ووترجيت (التى كانت سببا فى استقالة رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الأسبق ريتشارد نيكسون ، لعلمه بوضع رجال من حزبه أجهزة تنصّت وتجسس فى مقر الحزب المنافس ، وتستره عليهم ، وإنكاره - كذبا - ما فعلوا) . دافع « جيمس نيل » عن المتهمين بِحُجَّة أن الحادث لم يكن متوقَّعا ، وأنه وقع نتيجة تعجُّل العامل الفنى المكلف بإطلاق التفجير وإلقاء القذائف . وكان طبيعيا أن ينفى هذا العامل الفنى (ويدعى : جيمس كومونيل) عن نفسه هذا الاتهام . واستغرق استجواب المخرج « لاندِيس » أمام هيئة المحكمة ثلاثة أيام ، حوَصِر بعشرات الأسئلة ، وبعدد من الشهود . وتحت ضغط الموقف ، اعترف بأنه لو أعاد إخراج هذا المشهد فإنه « بالتأكيد لن يصوِّره كما حدث ، وبأسلوب مختلف » .

بعد أشهر عشرة من المحاكمة ، وسماع أكثر من تسعين شاهدا ، ومئات الساعات التى انقضت فى الاستجوابات والمرافعات ، حوِّلت القضية إلى هيئة المحلِّفين (تسمى أيضا : هيئة الحكم) فى ١٨ مايو ١٩٨٧ . وبعد جولة واحدة من الاقتراع السرى ، أصدرت الهيئة قرارها بأن المَتَّهَمين ليسوا مذنبين فى جميع ما وُجِّه إليهم . وجاء فى هذا القرار : « إننا نعتقد أن كل ما حَدَّث كان غير متوقَّع ولم يكن فى

الحُسان » . وقال رئيس هيئة المحلفين : « إنكم لا تقتصون من الناس بسبب حوادث غير منتظرة ولا مقدرة » . وعاب المحلفون على الادعاء (النيابة) قصورا في توضيح كيف كان يمكن تجنب وقوع الحادث، وأن هذا الحشد من الشهود كان يردد أقوالا متكررة بعينها ، ولم يكن مُقنعا .

في شهر فبراير التالي ، أصدرت « نقابة مخرجى أمريكا » قرارا بتوجيه اللوم إلى « لانديس » ، و « أَلَلنجهام » ، واثنين من المساعدين ، لسلوكهم « غير المنضبط » الذى زامن مقتل الممثلين الثلاثة . أما القضية المدنية التى رفعتها أسرنا الغلامين الفيتناميين، فقد انتهت إلى تسوية بالتراضى ، ودفعت الشركة المنتجة مليونين من الدولارات لكل أسرة .

الشيء الإيجابى ، أو الكسب الحقيقى من وراء تلك الكارثة ، هو صدور تعهد جديد من جانب هوليوود بتحقيق كل ضمانات السلامة والأمان فى مواقع الإنتاج والتصوير . وتكوّنت لجنة لتضع شروطا لضمان السلامة تضاف إلى عقود الممثلين والمخرجين .

أما الشيء المزعج ، فكان من نصيب المخرج « جون لانديس » . فقد لاحقه النقد فى الصحف ووسائل الإعلام ، بعد فشل مسلسل « منطقة الغسق » فى جذب الجمهور ، وإظهار استطلاعات الرأى هبوط مستواه ، وكتب ناقد سينمائى يقول : «إن القصة سيئة الإخراج ، ولم تكن تستحق الموت من أجلها » . فلما أعرضت ستيوهات الإنتاج السينمائى عن « لانديس » - وكان مخرجا ناجحا مُدرا للأموال - اتجه إلى الإخراج التليفزيونى . وفى مقابلة معه سنة ١٩٩١ ، قال : « إننى أعيش مع (منطقة الغسق) كل يوم من حياتى » !
